الفصل الثاني

السُّلوك

- **الكلمة الطيبة :**
  - الثرثرة .
  - ثوبي زور .
  - دعوى الجاهلية .
  - لا تنسى .
- **الرحمة والمودة :**
  - في العلاقات الأسرية .
  - امرأة الحطاب .
  - تحاشي المنغصات .
  - طبق الحلوى .
  - في الثبات والعمل .
  - عدم التفاخر بالجمال .
  - مشاهد لا تليق بمسلمة .

الكلمة الطيبة

• الثرثرة :

هى من عادات النساء ، ومثلهن بعض الرجال ، وتوصف المرأة بالكمال إذا كانت كثيرة الصمت ، وقد خطبت لأخى فتاة كثيرة الكلام فأبى زواجها قائلاً : المُشَاهَد أن التى تُجيد الكلام وتُكثر منه لا تُجيد أعمال المنزل .

والتعليل لهذه الظاهرة التى شاهدها أخى الفلاح المستنير أن التى تجعل همها الحديث تستولى عليها شهوة الكلام حتى تستغرق فكرها ومشاعرها فلا يبقى للبيت : طعامه وأثاثه .. وتربية الأولاد ومساندة الزوج - إلا قليل من وقت التفكير .. فعقلها مشغول بنكتة بارعة تُعدها أو قصةٍ طريفة تحوكها .. إلخ.

والإسلام لا يكمم الأفواه وإنما يطلب انتقاء العبارة واختيار الكلمة الطيبة فكلمتها عَفَّةٌ وليست نابية ، ونافعة ليست لغواً .. ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (١) . - ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾(٢).

فالمؤمنة تحاسب نفسها على الكلمة تخرج من فمها قبل أن تلفظها. وشعارها :«الكلمة تحكمنى إن خرجت من لسانى وأحكمها إن لم تخرج » ومثلها السائر الذى تردده : « لسانك حصانك ، إن صنته صانك ، وإن أهنته أهانك » . والمثل القائل : « من كثر لغطه كثر غلطه » ، وآيتها : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٣) . وأغنيتها حديث رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .

ولقد صوّر القرآن الكلمة الطيبة بأنها كالشجرة الثابتة يفيد منها طلاب

---

(١) النساء : ١١٤ (٢) المؤمنون : ١ - ٣ (٣) سورة ق : ١٨

ثمارها كل حين وفى كل مكان : أليست الحكمة تخرج من فم الحكيم فتتلقفها الجماهير وتتناقلها الأجيال والأمصار والأقطار ، ويجنى ثمارها العالم كله جيلاً بعد جيل ويبقى أجرها للحكيم الذى أذاعها . ويتكرر له ثواب فائدتها بقدر عدد المنتفعين بها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ عن العلم وتعليمه وهو من أجل الكلمات الطيبات : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثـــلاث : صدقة جارية . أو علم يتفع به . أو ولد صالح يدعو له » .

هذا الامتداد للمثوبة مع امتداد العلم النافع والكلمة الطيبة .. هو ما تعنيه الآية الكريمة : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ * تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

أما الكلمة الخبيثة فقد حدثّنا القرآن عنها بأنها غثاء ردئ ، لا ثبات له ، ولا قدرة له على استمرار النضال . فالمذهب الخبيث والدعوات الباطلة يصورها القرآن بقوله : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (٢) .

والكلمة المهذبة النافعة مظهر دال على كرم نجار (٣) القائل . وهذا هو معنى الآية الكريمة : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ (٤) . يعنى بالخبيثات والطيبات : العبارات . وفى صفة المؤمن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :« ليس المؤمن بطعّان ولا لعّان ولا فاحش ولا بذئ » .

هذا هو الإسلام يسد باب الشقاق فى الأسرة أو القرية أو المجتمع ، وهل يتناحر الناس إلا من كلمات خبيثة .. والكذب حتى على الأطفال ، والغيبة والشتائم ، والسخرية بالآخرين . كل ذلك من الخبائث ، بينما إفشـاء الـسلام ،

---

(١) إبراهيم : ٢٤ - ٢٥ (٢) إبراهيم : ٢٦

(٣) يقال كريم النجار : كريم الأصل . (٤) النور : ٢٦

والنصيحة الرقيقة ، وكلمة التوحيد ، والقرآن ، وترداد أحاديث الرسول ﷺ ، والتحدث عن الإسلام : كل ذلك ألوان من الكلم الطيب .

وإن التكسر بالقول من المرأة للأجنبى كلمة خبيثة .. بينما هو نفسه أمام الزوج - ترفيهاً عنه - من الكلمة الطيبة ؟

والمرأة التى تتسلى بالحديث المعاد إنما ترهق سامعها ، فلتحذر المعاد من القول ، فإيذاء الناس حرام .

إن البيت الطيب شعاره : « الكلمة الطيبة صدقة » .

* * *

● **ثوبى زور :**

وقد تخرج المرأة لجارتها أو لضرتها تزعم - زوراً - أنها قد حظيت من زوجها بكذا وكذا من الطعام أو الشراب أو المتعة ، تستعلى بهذا على جارتها أو ضرتها ، أو تغيظها بذلك ، وتزرع - بما تقوله - الأحقاد والحسد لها فى نفوسهن . وقد شبَّه النبى ﷺ من تفعل هذا بمن تلبس ثوبى زور ، إمعاناً من الرسول ﷺ في تقبيح هذا الصنع : فهو إذن من الكلم الخبيث [1] .

إن مثل هذه الأكاذيب ستتحول إلى آمال فى نفسها تحاول تحقيقها بإرهاق زوجها لتوفيرها إرهاقاً ربما أدى إلى الشقاق فالفراق . إننا نكون دائماً فى أسعد حال عندما نعيش واقعيين . راضين بالواقع ، مخططين فى صمت وهدوء إلى ما هو أفضل ، وبالعمل نرقى ، لا بالخيال الكاذب المُجَنّح .

* * *

(١) ومن هذا القبيل أن تقول المرأة لصديقتها : زوجي يعطيني مصروفا شخصيا أو مصروف المنزل كذا وتبالغ فيما تقوله . وتفسد بما تقوله على صديقتها حياتها . فربما كانت هذه الصديقة تعيش بنفقة أقل وهى راضية .

• دعوى الجاهلية :

وقد يموت للمرأة عزيز عليها من زوج أو أب أو أخ أو ولد أو عم فتولول عليه زاعمة أنها فقدت من لن يجود الزمان بمثله . صارخة : وأبتاه - يا جمل . يا سبع ، إلى غير ذلك ، فتكذب ، وتضع نفسها فى حَميًا الحزن واليأس ، وتنقض ما بايع النبى ﷺ عليه المسلمات الأوليات من ترك النياحة على الميت والإغراق فى الأسى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ».

* * *

• لا تنسى :

ولا تنسى أن تقولى لمن تدخلين عليهم تحية الإسلام : « السلام عليكم » ولا تقولى قبلها أى تحية أخرى مثل : « صباح الخير » أو « سعيدة» ، وذلك أن قوميتنا ووطنيتنا - إن كان لنا قومية أو فينا وطنية - توجب الاعتزاز بالتحية التى اصطلح عليها أجدادنا وفخر العروبة والبشرية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

ثم إن النطق بها تَعبُدٌ يستمطر ثواب الله سبحانه ، فهى تحية وصدقة .

ثم إنها تعلن عن دعوة لمبدأ يجب أن يتعايش الناس فى ظلاله ، وأن يذكروه دائما : « السلام » .

بل ولتتذكرى أنها تحية أهل الجنة عندما يغدون فتستقبلهم الملائكة بهذا اللفظ الجميل ، كما يحيى الله الأصفياء من عباده بذلك حين يحظون بقربه : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً ﴾ (١) .

وما أحوجنا أن نتعمد هذه التحية ، ونتعمد أن نتذكر أن الله السلام - وأن حاجة البشرية ، كيما ترقى ، أكثر ما تكون إلى السلام ، وأن هناك جنة يُحيى

---

(١) الأحزاب : ٤٤ .

أهلوها بالسلام وفى الحديث : « ألا أدلكم على ما إذا فعلتموه تحاببتم . أفشوا السلام بينكم » .

ولا تَنْسى أن تقولى عند كل أمر تبدأين فعله أو كتابته : « بسم الله الرحمن الرحيم » ففى الحديث الشريف : « كل أمر ذى بال - يعنى هام - لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر » - يعنى ناقص . وإذا انتهيتِ منه - طعاماً أو سفراً أو صناعة - فقولى : « الحمد لله » .

ولا تنسى إن طلبت من أحد شيئاً أن تترقق وتقولى : « من فضلك » و «هل تسمح » فإن أذن أو قدَّم لك شيئاً فقولى : « أشكرك » أو « شكر الله لك » حتى لو كان الذى يُقَدِّم لك ذلك هو خادمك أو ولدك أو أخوك الصغير . فالنبى ﷺ يقول : « أشكركم للناس أشكركم لله » ، ومن أحسن ما تعلمته من أخ مسلم كان يدرس لتلامذته أنه كان كلما أجابه تلميذ عن سؤال شكره على إجابته .

وحذار أن تقولى : « مرسيه » وأمثالها من الكلمات الأعجمية ، ففى هذا مخالفة لما رُوِىَ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أحسن التحدث بالعربية فلا يتكلم الأعجمية » ، ولأن فى ذلك إعزازاً للأجنبى ولغته ، واستشعارا بسموها على لغتنا وقومنا .

ولأن من أصالة التحرر اعتزاز المسلمة أو المسلم بلغته ، وبنى قومه وبدينه . وهذا الاعتزاز يُنميه الإسلام دائماً كما رأينا فى هذا الحديث .

وكما فى الآية الكريمة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

فالآية دعوة إلى الاعتزاز بالدين اعتزازاً يحملنا على الدعوة له دون مواربة أو خجل أو خوف ، مع شعور بروح الأستاذية الحانية ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

(١) فصلت : ٣٣

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) . ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) .

ولا تنسى إن حدث منك أقل خطأ لأخرى أن تقولى بصراحة « أعتذر » .

ولا تَنْسى أن تقولى لمن يجرحك بنابى ألفاظه : سلام عليك . سامحك اللّهَ . ففى القرآن : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً (٣) وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ (٤) قَالُوا سَلاماً ﴾ (٥) .

* * *

الرحمة والمودة

الرحمة صفة لازمة للزوجين معاً ، لأنها قاعدة البيت السعيد ، فإن فُقدَت كان الشقاء وكانت الحياة بدونها شـــذوذاً وتكلفاً ، فالأصـــل هو ما قاله القرآن : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٦) . فأنتِ أيتها المسلمة - فى تعبير القرآن - جزء من زوجك ، وما أعظم حياة يشعر فيها المرء بأن زوجته ليست شخصاً آخر . وإنما هى جزء لا يتجزأ منه : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ ثم يجعل المودة والرحمة بين الطرفين على قدم المساواة .

والرحمة ليست عملاً تتصنعه المرأة للزوج ، بل هى صفة المسلم أو المسلمة فى كل حين ، هى غريزة ملازمة . كالغدة التى إفرازها حسن المعاشرة ولين القول وإخلاص النصيحة .. وهي مرحمة تتمثل فى معاملة الخادم .. والجيران والحيوان . وفى الحديث : « إخوانكم خَوَلُكم - أى خدمكم - أطعموهم مما تطعَمون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون . فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

---

(١) المنافقون : ٨
(٢) آل عمران : ١١٠
(٣) هونا : برفق وبغير غطرسة .
(٤) الجاهلون : السفهاء .
(٥) الفرقان : ٦٣
(٦) الروم : ٢١

ويتحدث النبى ﷺ عن الذى يطهى الطعام فيأمرنا أن نطعمه مما صنعته يداه لنا .. ويوم كان المسلمون ينبعثون من دينهم حفظت لنا أمثالهم العامية : « طاهى السم لا بد أن يذوقه »

ويحدثنا النبى ﷺ عن امرأة كانت كثيرة الصلاة ولكنها تُؤذى جيرانها فيقول : « إنها فى النار » .

ويتحدث عن الرحمة التى تملك المسلم حتى يرق للحيوان فيخبرنا عن امرأة زانية نزلت بئراً فشربت منه ثم خرجت فوجدت كلباً يلهث من العطش فأخرجت له فى خفها ماء ليشرب ، فشرب ، وهز لها ذنبه شاكراً فشكر الله لها صنيعها مع الكلب وغفر لها .. وقال عليه الصلاة والسلام : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » - أى حشراتها وما يسقط عليها .

ومن الرحمة بالناس قبول اعتذاراتهم ، فالاعتذار نوع من الرجاء . وقد حدثنا النبى ﷺ أن من قبل رجاء مرتجيه حقق الله رجاءه ، ومن خيب رجاء مرتجيه خيَّب الله رجاءه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من اعتذر اليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس » .

وصاحب المكس هو الذى يقف لمنع التجار من العبور إلا بعد سداد رسوم معينة . وذلك أن الإسلام يفترض الناس جميعاً إخواناً فهم لآدم . ويدعو إلى حكومة عالمية وحياة اجتماعية إخوانية ليس فيها سدود ، ولا حدود ، ولا حواجز جمركية أو سياسية ، ففى الحديث : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب .. ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ »[1] . وفى الحديث أيضاً : « ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، ولكن العربية اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » فرفض الاعتذار معناه إقامة أو استدامة القطيعة والكراهية بين إنسانين . تماماً كالكراهية والقطيعة التى تنشأ عن نظام المكس بين صاحب المكس وأصحاب السلع .

---

(١) الحجرات : ١٣

والإســـلام دين إخاء بكل أبعاد الكلمة ومظاهر دلالتها : ﴿ إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) . والترفق فى الخصومة طبيعة المسلم لأنها السبيل إلى الترابط حين ينقطع حبل المودة . قال تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللَّهُ قَدِيرٌ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

وفي الحديث : « أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما . عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .

* * *

• فى العلاقات الأسرية :

هذا بوجه عام ، فما بالك بالخصومة تقع فى إطار الأسرة .. إنها لمظهر شاذ وغير طبيعى فى الإسلام .. فعلى كل من الزوجين أن يبادر إلى استرضاء صاحبه حين يغضب ، وكل منهما يملك أعظم الوسائل المتاحة لاسترضائه ، ففى الحديث : « من باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة ، ومن باتت وزوجها عنها غير راض باتت والملائكة تلعنها » .

وما يقال للمرأة قيل مثله للرجل وكانت آخر كلمات الرسول ﷺ عند وفاته الوصية بالنساء . وفى خطبته عليه الصلاة والسلام يوم حجة الوداع ، وهى آخر حجة حج فيها رسول الله ﷺ قال : « أيُها الناس .. اتَّقُوا اللّه فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً . فإنهن عندكم عَوَانٌ - أى أسيرات - لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم أخذتموهن بأمانة اللّه ، واستحللتم فروجهن بكلمة اللّه ، ولكم عليهن ألا يوطئن فُرُشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فإن اللّه قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع . وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح . ولهن عليكم رزقهُن وكسوتهن بالمعروف » .

ومن مـــودة الزوج : الإحسان إلى أهله وصَحبه ، واحتمال أذاهم وطرحه من الذاكرة . حدثتنى خريجة لآداب القاهرة أن حماتها يوماً لطمتها فى أمر ترى أختنا أنها

---

(١) الحجرات : ١٠ (٢) الممتحنة : ٧

كانت فى عمله على حق ، فاحتملت أختنا اللطمة قائلة : إن حماتى تركية حادة الطبع ، وأنا فى نظرها لا أتجاوز بنتاً كأى بنت أو امرأة ، فليسانس الآداب وثقافتى وطبقتى الاجتماعية ، كل هذه أمور لا تدركها «الحماة » . فكل ما فى تصورها للأسرة أنها أم الزوج ، وبقية ما فى البيت رعيتها . فالتفاهم معها على غير هذا المفهوم مستحيل . فليس لها من حل إلا أن يكون الصبر والنسيان . وإلا تهدَّم البيت ، وفقدتُ الزوج ، وأصبحتُ فى الطريق أبحث عن رجل آخر ، وليس هنالك رجل وأم ، خيراً من رجل وأم آخرين ..لأن طبائع الاجتماع متشابهة ، والبحث عن شخص أفضل فى الحياة الزوجية مقامرة خاسرة .

إننى أعذر حماتى فى كل إساءة كما أعذر رجلاً أمسك بتلابيب السارق الذى سلبه ماله بركله وبلكمه . ألست فى نظر الأم ، وعلى الأقل فى حسها ، سارقة أو مغتصبة كنزها العظيم « ابنها » . مهما قيل إن اسم هذا الاغتصاب « زواج »؟! ولقد تقدَّم العلم بفن السرقة والاغتصاب فعلينا استلال سخائم الحماة برفق ، ومودة وحذق .

* * *

• امرأة الحطاب :

ويُروى أن رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن امرأة الحطَّاب من أهل الجنة بفضل صنيعها لزوجها ، فلما سُئلت قالت : إن زوجى إذا خرج يحتطب - أي يجمع الحطب من الجبل ، فيبيعه ويشترى ما يحتاجه - أحِسُّ بالعناء الذى لقيه فى سبيل رزقنا . وأحِسُّ بحرارة عطشه فى الجبل تكاد تحرق حلقى ، فأعد له الماء البارد حتى إذا ما قدم وجده . وقد نسقت متاعى وأعددت له طعامه ، ثم وقفت أنتظره فى أحسن ثيابي ، فإذا ما ولج [1] الباب استقبلته كما تستقبل العروس

(١) ولج : دخل .

عريسها الذى عشقته ، مسلمة نفسى إليه ، فإن أراد الراحة أعنته عليها .. وإن أرادنى كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها .

* * *

• تحاشى المنغصات :

أذكر من أسباب ضيق الرجال بنسائهم بعض الأمور : سيدة يقول زوجها إنه عندما يأتى زوجه فى ثورة شهوته .. لا تبادله عاطفة بعاطفة .. بل ربما كانت كالخشبة - أي المرتبة - لا حرارة ولا سلام ولا كلام ، بل ربما أخذت تغط [1] بشخيرها فى النوم ، وأخرى تؤثر [2] المبيت بحجرة الأولاد تاركة زوجها يبيت وحده فى صورة أعزب .

وآخر يقول : إنه يضايقه من زوجته أنها لا تنظف نفسها ولا تزيل شعرها وكأنها إغريقية تؤمن بأن نتف الشعر إثم فى ملتها .. وهو مذهب شائع فى الغرب المسيحى .

وآخر يقول : إن امرأته قد تتزين له ثم تسرف فى مراودته وقد تجعل هذه الوسيلة المثيرة طريقها لمطالبها الخاصة .. ملابس - ثلاجة - زيارة الوالد - مصلحة أعمامها .. إلخ .. حتى تُزَهِّدهُ فيها بسبب ما أثقلته من مطالب بغيضة إلى نفسه ،، أو ليس لديه مجال لبحثها فى هذا المقام ، أو هذا وقت المطالبة ؟ أم هذه الحال التى عليها السيدة التى تهمل نفسها ونظافتها جديرة بشرف لقب « ست البيت » [3] .

إن النبى ﷺ جاءته امرأة تسأله عن أحكام الغُسل من الحيض فأجابها وأوصاها أن تضع بعد الغسل قطعة فيها مسك لتزيل آثار رائحة دم الحيض وتجعل هذا المكان طيب الرائحة ، حتى إذا ما أراد زوجها منه شيئاً يشم أو يلمس رائحة طيبة .. وهذا العمل عبادة .

---

(١) غط وتغط في نومها : تنام نوما عميقاً . (٢) تؤثر : تفضل .
(٣) ست البيت : تعبير مصرى يطلق على السيدة الماهرة في أعمال المنزل .

وفى ليلة الزفاف قالت حماة لزوج ابنتها : « هات حَـلَّةُ اللباس » أى مقابل أنك استطعت اكتشاف ما لا يراه أحد من المرأة .. وهى بهذا تخالف الإسلام الذى أفتى فقهاؤه بكراهية طلب المرأة أى شئ من زوجها عند لقاء المتعة بها ، لأن هذا يشبه الزنا وصورة مما تفعله البغايا .. أن تأخذ على الاستمتاع بها أجراً .. والنبى ﷺ يطلب من المرأة أن تكون تحت أمر زوجها حين يطلبها للمتعة ، ولو راودها عن نفسها فوق ظهر جمل لم يحل لها أن تمتنع منه .

ويطلب النبى ﷺ من المسلمة ألا تكون حشيَّة ملقاة ، وإنما عروساً تتلهى بزوجها وتداعبه .. كما فى حديثه لجابر بن عبد الله : « هلاَّ بكراً تُداعبها وتداعبك » ؟! فالمداعبة شئ واجب على الطرفين تَدَيُّناً ، ويقول النبى ﷺ للرجل كذلك : « لا يقع أحدكم على زوجته كما يقع العير - أي الحمار - ولكن ليلاطفها ويداعبها ».

وعليه أن يراعى شعورها .. فلا يضربها ثم يواقعها حتى يزيل ما بنفسها أولا ، بهذا أوصى رسول الله ﷺ .

* * *

• طبق الحلوى :

ومن الآداب التى ذكرها الغزالى فى الإحياء أن تجمع الزوجة أسرتها أسبوعياً على طبق جميل من الحلوى .. فإن الأسرة عندما تشعر أنها فى فرح كل أسبوع تمتلئ بالسعادة والاعتزاز والحب للبيت ، قال سفيان الثورى : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون فى جماعة .

* * *

• فى الثبات والعمل :

كان النبى ﷺ يعمل مع أهله ما يمكنه أن يعمله تطييباً لخاطر الزوجة .. ولأن المرأة تُحب أن ترى زوجها معها فى كل وقت وعمل ، ومساعدتها فى المطبخ ذات لذة وتمنحها نشوة ونشاطاً .. وقد كان رسول الله ﷺ يُرَقِّع ثوبه بنفسه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ..

وكانت زوجاته وزوجات الصحابة يحاولن ما استطعن الإسهام فى زيادة دخل الأسرة ومساندة الزوج .. فأسماء بنت أبى بكر تحمل النوى على ظهرها مسيرة عدة أميال ، ثم تعده غذاء لفرس زوجها ، وإحدى زوجات النبى ﷺ تدبغ بعض الجلود ، فالأصل فى الحياة الزوجية التعاون المخلص فليس فى البيت المسلم إمبراطور متبجح متغطرس ، ولا ملكة متكبرة .. إنما الزوجان فى فرح ومرح ، يعيشان فى تعاون صادق مخلص .

* * *

• عدم التفاخر بالجمال :

قال الغزالى : ومن آداب الزوجة ألا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدرى زوجها لقبحه ، فقد رُوِى أن الأصمعى قال : دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجهاً .

فقلت لها : ياهذه . . أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله ؟

فقالت : ياهذا .. اسكت ، فقد أسأت قولك . لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه ، فجعلنى ثوابه . أو لعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى .

* * *

• مشاهد لا تليق بمسلمة :

١- مشهد من تلتقط الخيط من رجال يتحدثون بالقطار أو النادى فتقحم نفسها فى حديث مع من لا تعرفهم .

٢- والتى تستوقف سيارة رجل لا تعرفه لتركب معه تقليداً لساقطات الغرب.

٣- والتى تفتح الباب لترى الزائر ولا تسأله من وراء حجاب ، وأكثر بعدا عن الآداب الرجل الذى يطرق الباب ، ثم لا يتوارى قليلاً ، أو لا يدير ظهره حتى يسمع الإذن له بالدخول .

٤- والتى تقابل اللبّان والكوّاء والباعة الجائلين حاسرة الرأس أو كاشفة الصدر كأنه بحرفته هذه أصبح بدون خصائص الرجولة .

٥- والتى تقف لتنشر « الغسيل » أو تقف فى الشرفة دون تحفظ وكأن المارة فى الشارع عمى لا يرون عورتها التى حرَّم الله كشفها .

٦- والتى تمضغ العلك (اللبان) أو تأكل فى الطريق العام إلا لضرورة الحمل عتد بعض من يفعلن هذا لمنع القئ وأعراضه .

٧- والتى تجعل أجمل ثيابها للعرض فى الشـوارع ومجالات العمل وكأنها « مانيكان » متنقلة . فإذا رجعت الى بيتها انخلعت من الجمال إلى القبح لترى أمام زوجها « قبيحة » على « الحقيقة » .

٨- والتى تقحم نفسها على ضيوف زوجها دون طلب لها .

٩- المرأة العاملة التى تودع زوجها مقطبة الجبين لتستقبل زميلها بإشراقة الصباح .

. ١- المرأة التى ترتدى زياً إسلامياً وتسترعى انتباه المارة ضحكاتها الثقيلة وحركاتها الرعناء .

* * *